بنت الرماد

حانين

أمراء النصر والتحرير

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

شبكة المعارف الإسلامية
www.almaaref.org
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

بنت الرماد

حانين

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الاسلامية الثقافية

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ ـ ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

- **قصة قرية:** حانين.
- **العنوان:** بنت الرماد.
- **الكاتب:** سعيد أبو نعسة.
- من النصوص الأدبية المشاركة في مسابقة «القرى الشاهدة والشهيدة» التي نظمتها الوحدة الثقافية المركزية في حزب اللّه ورعتها بلدية بنت جبيل.
- **الناشر:** جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- **الطبعة:** الاولى حزيران ٢٠٠٤م - ربيع الآخر١٤٢٥هـ.

الرياح تصفع التلال والغيوم تلاطم الغيوم في سباق محموم لتسقّط الخبر.

جيوش الظلام تطبق على (حانين)، تكشّر عن أنياب تقطر حقداً ودماء. والزمان ينسلّ هارباً، ململماً أوراقه وذاكرته،غافلاً عمّا يحيق بالمكان، وقد أنشب فيه الخريف مخالبه الصفراء.

أرسل (أبو علي) عينيه من النافذة المنفتحة على الحاكورة، فارتدّت إليه سهامه، مُعلنة عجزها عن اختراق الدّجى، وقد احلولكت السماء واكفهرّت حاجبة كل ذي نور عن الإشعاع.

حوقل وتعوّذ بالله من شرّ ما خلق. وعاد ليتمدّد فوق الأريكة متدثّراً بعباءته مسنداً رأسه فوق كفّه اليسرى، محدّقاً إلى النافذة، علّه يحظى بخيط من نور يكشف له ما يُحاك حوله تحت شِباك الظلام، لكنّ لمعان البرق هو الذي خطف بصره فهرع إلى النافذة طمعا في رؤية أمارة تدلّه على استمرار الحياة من حوله فعاجله الرعد بقصفٍ شديد أصمّ أذنيه، وردّه على عقبيه خائباً نحو الأريكة.

معتادٌ هو على الاختلاء بنفسه، فلطالما حرس الكرم وحيداً، لا يؤنسه إلاّ نقيق الضفادع وصرير الجنادب وطقطقة حبّات سبّحته. وكان يصنّف وحدته في خانة النّعم.

لكنّه اللحظة مطوّق بعواء الريح وقصف الرعد وحُمّى الترقّب.

تذكّر سبّحته الكهرمانية فلجأ إلى حبّاتها يستمطر الصوت والضوء والأنيس:

سبحان الله... الحمد لله.... لا اله إلا الله.... الله أكبر.

استوقفته عبارة: الله أكبر؛ فرحل معها مفكّراً، وأخذ يكررها: الله أكبر... الله أكبر.

وكأنّ حبّات السبّحة كانت تستحثّه على تأكيد العبارة وترديدها دون انقطاع.

كان على الدوام يكرّر هاتين الكلمتين ويسمعهما مع كل ارتفاعة أذان، ويعتبرهما مؤشراً على دخول وقت الصلاة. لكنّ معناهما الساعة مختلف... رفع صوته مناجيا نفسه:

«الله أكبر... نعم، أكبر

أكبر من الظالمين... أكبر من الظلمات ووحشة الوحدة.

(حانين) تسكنني وأسكنها».

وعاد يطقطق بسبّحته مرتحلا مع شريط الذكريات، علّ الذكريات تطوي دقائق وحدته:

«كان في استطاعتي أن ألحْق بأهلي نحو (عيتا الشعب) لم يكن أحد ليمنعني.. أنا أقنعتهم بالخروج وقُدتُهم واثق الخطوة حتى بلغوا مأمنهم،وحين استدرت لإلقاء نظرة

الوداع على (حانين) تسمّرت رجلاي في التراب، وانهمرت على خدّي دموع لم أذرف مثلها قطّ في حياتي. شهقتُ كطفلٍ أضاع أُمّه، وسجدتُ مُعفّراً رأسي بالتراب. وما قمت إلا وقد أتّخذت القرار، قلت لأهلي: - ارحلوا.... أما أنا فسأعود؛ حانين منّي وأنا من حانين.... معاً نحيا ومعاً نموت!».

(حانين.... حانين) !

من أتحفكِ بهذا الاسم ؟

أمِن الحنين صِيغت حروفك، أم من الموت والرحيل؟!

حين حطّت رحال أجداي على ثراكِ، كنتِ خير منزل، لم تبخلي علينا بالعطاء.

ثوبك السندسي كان متعة للناظرين... أشجار زيتون تزيّن الوهاد والهضاب، ورقها دائم الخضرة، وظِلّها يُغري سدنة الأرض بإغفاءة الظهيرة.

أثلج صدورنا أن نكون من الأرض المقدّسة على مرمى حجر، وأن نفتح بيوتنا للتجار الفلسطينيين وأن نسرح ونمرح في روابي الجليل، شعبا واحداً في بلدين، وقلبا نابضا في جسدين.

ويوم أخضرّت الربى حولنا وعمرت التلال المجاورة بالقرى، لم نعجب لرنين الأجراس ينبعث من كنائس

الجيران، بل خففنا إليهم مُرَحّبين، فتحنا لهم القلوب قبل البيوت وقاسمناهم اللقمة وشربة الماء.

كانت أُمّي تصبغ لنا البيض في عيد الفصح، تسلقه مع قشور البصل، تقول: هم جيراننا يا بني... عيدُهم عيدنا، ومأتمهم مأتمنا.

لم يسجل التاريخ بيننا نزاعاً حول الكلأ أو الماء وقد وحَّدَنا الإهمال والحرمان.

من عين واحدة شربنا ولموسم واحد دبَكنا ورفعنا عقيرتنا بأبيات العتابا.

العرس للجميع والمأتم للجميع، الكوفية شعارنا، وحسن المعشر ديدننا.

ما همّنا إن قيل «(حانين) مئذنة مطوّقة بالصلبان» وقد رفعنا جميعاً شعاراً واحداً: الدين لله والوطن للجميع.

وما ضرّنا أن نعطيهم الأمان يوم عزّ الأمان. وأن نرسل شبابنا دروعاً تردّ عنهم سهام الحرب الطائفية الأولى.

فكيف دار الزمان بنا؟

الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر.....

لم أكن مقتنعا بأن الإنسان ينقلب ذئباً بين ليلة وضحاها تبعا لمصالحه الشخصية إلا عندما حلّت الكارثة وحدث ما حدث.

الصورة ماثلة أمامي والمشهد يتداعى بكلّ تفاصيله:

كان ربيع هذا العام، والحرب الأهلية تنهي عامها الأول على وَقْع مجزرة هنا وأخرى هناك؛ تهجير هنا وتهجير هناك. قصف متعدّد الأهداف والتسميات؛ واحدٌ مركّز وآخر عشوائي، اجتياح واجتياح مضادّ. تطهير عرقي وآخر ديني وثالث بلا سبب. قتل على الهوية وقتلٌ بلا هوية، وقنص متبادل.

حربٌ لم يعرف المقتول فيها قاتله وسبب قتله، كما لم يعرف القاتل غريمه والدافع إلى تصفيته.

لم تُدنِّس قرانا يديها بهذا الإفك العظيم. كانت مضرب المثل في العيش المشترك وكأن الحرب تدور في بلد مجاور. بيديّ هاتين حملت الطحين والسكر والمعلبات إلى جيراننا، وبيديّ ساعدت الرهبان في توزيعها على الأهالي وقد أستبدت بهم ضائقة الحرب.

فطِن مغتصبو الأرض المقدّسة للأمر، واستغلّوا انقطاع المواد التموينية عن قرانا النائية بسبب شبح الحرب العاصفة بالوطن، فابتدعوا مشروع (الجدار الطيّب) عارضين إمدادنا بالمؤن الضرورية مجّاناً، شرط أن نفتح قرانا وقلوبنا للتنسيق معهم.

التنسيق؛ هذه الكلمة ذات الجرس العَذْب، حرباء جلدها

من حروف تُظهر براعة مُطلقها في استنطاق اللغة، ولا يفوقه براعهً إلا ذاك الثعلب الذي أعيته الحيلة في إقناع الدجاجات بالخروج من الخمّ، فلم يجد سبيلا إلى الانقضاض عليها إلا بإقناعها بالحرية التي ستنعم بها إن هي تخلّت عن عبودية القَفَص.

يوم طُرحت فكرة التنسيق على أهل الضيعة. انقسموا بين فاهمٍ وواجم.

لم يكن السؤال المحيّر: ما معنى التنسيق؟ ولا، ما هي أبعادهُ؟

كان السؤال: مَنْ يُنسِّق مع مَنْ؟

إن كان التنسيق سيتم بين حكومة وحكومة، فلا شأن لحانين بهذا التنسيق، وإن كان بين شعب وشعب، فلا اختلاط ولا تزاور بين الشعبين.

أما إذا كان بين حكومة معادية وشعب معتدىً عليه فالكلمة الأنسب لهذه العلاقة هي: التركيع. وهذا ما رفضته (حانين) وقد ظهر أنّه قِناع بريءُ يخفي تحته شيطاناً مَريداً.

يومها قلنا جميعاً: نموت واقفين ولن نركع.

مخازننا أُتخمت بمحاصيل التبغ؛ الديون تراكمت على الفلاحين، وشبح المجاعة فرد عباءته علينا جميعا.

ليس بعد العسر إلا اليسر؟ قيّض الله لنا من يشتري محصول التبغ المتراكم، وحُدّد مركز التسليم في (عين إبل).

انطلقت قافلة الفلاحين جذلى بانفراج أزمةٍ طال أمدها.

لم نكن نعلم بأن رحلتنا لن تبلغ هدفها، وأن حواجز العملاء ستقطع علينا الطريق، وأن فرحتنا ستُبتَر عند أول حاجز أقيم في (رميش) وأن الخيبة ستلفّنا جميعا ونحن نعود أدراجنا حاملين فوق التبغ همّاً جديداً.

هي ليست المرّة الأولى التي تتراكم فيها (بالات) التبغ في مخازننا، ولن تكون الأخيرة.

أقصى ما يمكن أن ينجم عن هذا هو نضوب المال في جيوبنا، ولكن، ما عسانا نفعل بالمال وقد فُقدت مواد التموين الأساسيّة من الأسواق؟

الفشل في بيع المحصول لم يكدّر الفلاحين، لكن رؤية حاجز مسلح يقطع عليهم الطريق هي الطعنة النجلاء التي اخترقت صدورهم.

لماذا يحدث كل هذا ؟ سؤال ارتسم على وجوه الفلاحين وهم يسألون بعضهم بعضاً:

هل قصّرنا في حق جيراننا يوماً؟ لماذا يسمحون بإقامة الحواجز العميلة في قراهم؟

قلنا يومها: غصّة وتزول! الأصل في علاقتنا بهم الودّ

والتراحم وحسن الجوار؛العقلاء فيهم كُثر، سيتدبرون الأمر عما قريب.

لم نكن نتوقع أن يفشل العقلاء في كبح جماح الشرّ وقد ذرّ قرنه بين القرى.

تمدّد الأخطبوط الشرّير عبر البحر ملتفاً على (حانين) من جهة فلسطين.. وكانت نفوس ضعيفة قد هيئت لاستقباله فكان منه ومنها نبتة شيطانية زرعها اليهود ورعوها في تربة أخصبتها حرب أهلية حتى أينعت لا أطبقت على الأعناق في جدار حانين قبل أن تطبق على عنقها.

اشتاقت الأفران إلى الطحين وتاق الناس إلى رائحة الخبز، وهبّ الغيارى لتدارك الكارثة ؛ محسنٌ كريم من هنا ولجنة تموين من هناك.

تفاءل الحانينيّون خيراً وراحوا يمنّون الأنفس بالأماني واعدين أطفالهم بحلول الدقيق والسمن مكان الصعتر الأخضر الذي صبغ خلاياهم وارتسم على شفاههم، وصار وصول المؤن معقد الآمال، عليه تُبنى المشاريع ومنه تنطلق المخطّطات.

لم يعلم المشرفون على توفير المؤن أنها صارت محرّمة على رافضي التنسيق،وأن العبور لإغاثة المحاصرين دونه الموت الزّؤام، كانوا أربعة ينتمون إلى تنظيم مسلّح له اليد

الطولى في الجنوب، وكان هدفهم القيام بجولة بين القرى المحاصرة لتقدير حاجياتها من المؤن، وانطلقوا إلى (حانين) رغم تحذير أحد العارفين بخبايا الأمور، لكنهم غامروا بحياتهم من أجل إغاثة الملهوفين.

صرّت مكابح سيارتهم في طريق العودة عند حاجز العملاء الذي يقطع الطريق:

كانت الأوامر الصادرة تقضي باعتقال الفدائيين الأربعة وتسليمهم إلى اليهود؛ فهل يرضخون حتى وإن كانت الأسلحة التي بحوزتهم خفيفة؟

تبادلوا مع الحاجز إطلاق النار واستشهدوا جميعا، بعد أن قتلوا من العملاء ثلاثة.

(الدماء تجرّ الدماء) مثلٌ حفظته عن أبي، ورأيت مصداقا له فيما توالى بعد ذلك من أحداث.

انقلبت أفراح أهل (حانين) غمّا، واستشعروا الخطر يحدق بهم، وقد سالت دماء العملاء بسببهم؛ قالوا: «لا علاقة لنا بالأمر، نحن مظلومون جائعون محاصرون ولم نقتل أحداً».

قبعت (حانين) تنتظر الصاعقة الوشيكة معتمدة على عهود الجوار وأهل القرار وحماة الديار، لكن الصاعقة شرعت ترسل الشهب كإنذارات أوّلية على هيئة رمايات

رشّاشة تتلقّاها (حانين) صباح مساء دون أن تُواجه بأيّ ردّ. أهل حانين مسالمون لا يرغبون في الصّدام ولم يعدّوا له العدّة ولا الخطط. محايدون هم ولكن أعداءهم لا يفهمون هذه الكلمة الرمادية، يقولون: من ليس معنا فهو علينا.

صار الخروج من حانين والدخول إليها أمنية صعبة المنال، يتعرّض من يُقدِم على كسر الحصار إلى شتّى صنوف الإهانة والمضايقات، وصار الوادي السحيق الذي يفصلنا عن (الطيرة) منفذنا الوحيد والبعيد إلى الحياة.

شكّل وجهاء حانين وفدا لمقابلة مفتعلي الاستفزاز والتحرّش.

كان الوفد على يقين من أن سلّته ستعود فارغة من هذا اللقاء، ولكنّه أصرّ على المحاولة إرضاءً للنفس وتجنّبا للصِّدام وتطمينا للأهالي واستجلاءً لحقيقة النوايا.

استُقبل الوفدُ استقبالَ المخطئ بحقّ نفسه، وغير القادر على التفكير السليم والذي يرفض امتلاك دجاجة تبيض له ذهباً.

تصدّرت المجاملات الحديث الدائر، وكان الذئب يجهد في تلبُّس أقنعة البراءة والحرص على مصلحة (حانين) وحُبّه لها:

(ـ لست مضطراً إلى إبداء مدى حرصنا على (حانين)،

فنحن أهلُ قبل أن نكون جيراناً، ولكنّ الظروف أقوى من الجميع، والعاقلُ من يماشي التيار ولا يتصدّى له.

- ستصبح سيرتنا على كل لسان: «أهل (حانين) يلعبون دور المنافقين».

عارٌ لن نرضى بقبوله.

- لتكن القرى التي قبلت بالتنسيق مثلا لكم، إنّها تتقلّب في النعيم.

- نفضّل أن نقف على الحياد، آمنين في دُورنا وأرزاقنا، وإن تدنّت إلى حدّ الكفاف.)

رسالة تهديد واضحة الكلمات والدلالة، نقلها الوفد إلى أهالي حانين وقد اجتمعوا لاتّخاذ القرار المصيري.

لم أشكّ لحظة في عنفوان قريتي، قالت بصوت واحد (الجوع ولا الخضوع).

وزّع المجتمعون بيانا مكتوبا تضمّن هذا المعنى. اعتبره العملاء القشّة التي قصمت ظهر البعير قائلين: «الصمود والتحدي يساوي التصدّي. حانين لم تترك للصلح مكانا، البيان إعلان حرب».

تنادى نوّاب المنطقة وعلماؤها للتباحث في أمر حانين وما يُخطط لها خلف الكواليس، وعندما قرأوا البيان قالوا: هذا نداء استغاثة، لا تحدي فيه ولا تجريح.

أيقنوا أن حانين صارت حَمَلا وسط قطيع من الذّئاب.

استمرّ الحصار والرمايات الرشّاشة خمسة وأربعين يوماً، لم تفلح في خلالها الوساطات لتهدئة الأمور وثنْي العملاء عن تصرّفاتهم بحقّ حانين ؛ وكان طرحهم الوحيد:إما التنسيق وإما الإلغاء.

وكان ردَ (حانين): «وماذا سيكتب التاريخ عنَا إن رضخنا للتنسيق؟!»..

(حانين) تكتب تاريخها بيديها، هي تصنع التاريخ ولا تستجدي الحياة.

هي التي مُحِيَت عن خارطة لبنان مرتين في زمن الإنتداب وعادت مرتين وكانت تعود بعزم يفوق العزم وإصرار يتحدى كلّ إصرار، لم يرهبها الإقطاع حين ادّعى أن (حانين) ملك له؛ قارَعته حُجّة بحجّة ودعوى بدعوى ولكنه لم يرعَوِ وظلّ يتحيّن الفُرَص.

ذات صباح فوجئ الحانينيون برجال الشرطة يحرسون مهندسي المساحة وهم يتأهبون لإجراء مسحٍ جغرافي لحانين؛ خطوة لم تُقْدم عليها الدولة في أيّ شبر من خارطة الوطن؛ فلماذا الآن؟ ولماذا (حانين) بالذات؟!

هي ليست بدعا من القرى اللبنانية ولا تُشكّل استثناءً على صعيد الالتباسات الحاصلة في دقّة سندات ملكيّة

أراضيها، والتداخلات الشائكة التي تعيق عملية فرز الأراضي، وما تستدعيه من شهادات وإثباتات قانونية. إخراج قيد من هنا، وشهادة وفاة من هناك، وحصر إرث من هنا وهنالك.

أوراق رسمية ما كان لها أن ترى النّور، وقد فقدت مؤسسات الدولة ضياء العين. هكذا بسحر ساحر، قرّرت الدولة فرز أراضي (حانين) وكأن هذا الفرز (الطوبوغرافي) لحانين صار الشاهد الوحيد على انتظام أمور الدولة وبقائها على قيد الحياة، ضمن أقانيم القانون والعدالة والنظام.

أدرك الأهالي مغزى هذه الخطوة؛ أيقنوا أنّ الاستسلام لها يعني التخلّي عن ممتلكاتهم وثرى أجدادهم، ولم ينقصهم الذكاء لمعرفة الدوافع الكامنة وراء عملية الفرز هذه والتي كان مجرّد طرحها سابقاً يحتاج إلى قوانين ومشاورات وأخذٍ وردٍ، وروتين إداري تقذف به السنين إلى السنين ويُعتّقه العفن والغبار في أدراج الموظفين، وإذا به اليوم يتخطّى كل المعوّقات ويصبح حقيقة ملموسة على الأرض في أيام معدودات، وكأننا نعيش في قارة غير قارّتنا.

كان أمامنا لمنع الاقتلاع خيار واحد: أن نقاوم الفرز سلمياً.

جَـمـعْنا الأطفـال والنسـاء وطلاّب المدارس فـشكلوا بأجسادهم سداً منيعاً أمام المهندسين والمسّاحين، ولم يجد رجال الدرك القليلو العدد داعيا للاصطدام بهم، فعادوا أدراجهم دون إجراء عملية المسح الجغرافي.

قلنا لهم: لتأخذ العدالة مجراها، فملف (حانين) مفتوح تحت قوس المحكمة منذ سنين، فكيف يتم تطبيق الحكم قبل صدوره؟

أعاد المهندسون الكرّة، وكان حُماتهم من رجال الدرك أضعاف عددهم في المرّة الأولى وكانت الصرامة والجديّة واضحة في إصرارهم على فرز أراضي (حانين) ولو بالقوّة.

ومرّة ثانية انبرى الطلاّب والأطفال والنساء للذّود عن حقوقهم بالجسد الأعزل...

صراخٌ وصياح، طرق على الطناجر وتنكات الزيت تعبيراً عن رفضهم هذا الإجراء.

مقاومة مدنية حضارية أجبرت الشرطة على التراجع وقد قرأوا في عيون الناس ما لم يجدوه في الأمر الصادر إليهم... قرأوا من خلال القسمات الغاضبة تشبّثاً بالأرض والتاريخ ورغبة في الاستشهاد دونهما، ففضّلوا العودة عن قرارهم وترك الأمر للظروف المؤاتية.

تجارب في الصمود اختزنتها (حانين) وانتقلت عبر

الذاكرة الجماعية من جيل إلى جيل، أمثولة تزينهاوحدة القرار وحكمة رأسها الصبر والإصرار.

ما لي أستحضر التاريخ البعيد؟!

قبل أسبوع قلت لأترابي:

- «أصبح الهجوم على (حانين) وشيكا وقد صار اسمها مادة إعلامية تلوكها نشرات الأخبار ؛فماذا نحن فاعلون؟».

- ندافع عن عيالنا بما تيّسر (حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا).

اختار العملاء السادس عشر من تشرين الأول موعداً لبدء الهجوم على (حانين)؛ وقعت المسكينة جوزة بين فكي كماشة...

تهاطلت القذائف على (حانين) من جهتين مرفوقة برمايات رشاشة كثيفة استمرت طيلة الأصيل و(حانين) كفّ يلاطم مخرزا لا تردّ بغير رصاصات عقيم تنطلق من هنا وهناك إثباتا للوجود وذراً للرماد في العيون، لكنها أفلحت في تأخير هجومٍ وصفه أهل (حانين) بأنه اختبار لقوة البلدة المحاصرة وكشف لأسلحتها.

حصد الهجوم الأول شهيداً واحداً وعدداً كبيراً من الجرحى. ولم يسلم منزل المختار من الاستهداف. اخترقته إحدى القذائف ولم تلتهم من الغرفة غير الأثاث.

أعجوبة نجا بفضلها عشرات الناس المختبئين في بيت المختار.

قلتُ: الهجوم الشامل سيبدأ بين ساعة وساعة.

نصحَنا العارف بخبايا الأمور أن لا نستخدم قطعة أل (آر بي جي) الوحيدة في القرية إلا إذا أغاثنا المغيثون من خلف التلال، لكن الداعم كان يشخر في نوم عميق فلم نحصل من المتحذلق العسكري إلاّ بمقولة مفادها (حانين ساقطة عسكرياً).

عند الحادية عشرة والنصف ليلاً انهمرت القذائف على تخوم القرية وأطرافها وراح الناس يلهجون بذكر الله وبالشهادتين.

تقدّمت الملالات عبر فكي الكماشة في هجوم مباغت احتلّ القرية في لحظات. لم يستطع الأهالي ردّ الهجوم وقد نفد الرصاص وعَزّ المعين.

اختبأت (حانين) خلف ذاتها ترتعد فَرَقاً؛ أطفالها يزرعون رؤوسهم في طيّات جلابيب أمّهاتهم والأمهات يولْوِلن نائحاتٍ علّ أحداً يسمع عَويلهن فيهبّ للنجدة؛ والرجال والشبان يحاولون تخفيف الأمر عنهن ضاربين كفاً بكفٍ، موكلين أمرهم إلى الله تعالى.

جلستُ حاضناً رأسي بين كفيّ أنتظر الحركة التالية

وقد غرقت حانين في سكون مرعب. الملالات خمَدَت والسيارات همدت والرشاشات بردَت. وأرهفتْ (حانين) سمعها لحركةٍ، أيّ حركة.الطيور رحلت بعيداً وقد أعوزها الأنيس، والحشرات تسابقت إلى جحورها خشية أن تهرسها السنابك الضخمة؛ وصار مطلب المختبئين في الزوايا والأقبية أن يفرحوا لسماع حركة.

فجأة مزق السكونَ أمرٌ صارخ نقله مُكبّر الصوت واضحاً جلياً:

ـ الجميع إلى بيت فلان خلال خمس دقائق. أكرّر: الجميع إلى بيت فلان خلال خمس دقائق. سنطلق النار على من يبقى في بيته.

وأيّ مجنون يجرؤ على المعاندة ؟!

كانت العائلات كُتلاً بشرية ملتحمة مُتراصّة تتعثر في جريها نحو البيت المحدّد.

ما ذنْب الطاعنة في السنّ إن لم تسمع الإنذار، ومن يلوم الحامل إن أرغمها حملها على كسر الأمر الصادر؟

راحوا يلبطون الأبواب زارعين الرصاص في كل الأنحاء، فاستشهد من النسوة ثلاث وشُوهد

(علي محمد شهاب) مُقطَّعاً بالفؤوس.

منظر أدمى القلوب واختزل الدروب نحو بيت فلان.

نظرتُ بطرف عيني فخلتُني أسيرُ في درب الجلجلة، يحشُرُني الزّقاق ويُعثّرني الْتِفافُ الساق بالساق.

ما أطول المسافة بين بيتك وبيت جارك، حين يكون الموت متربصاً بك عند المنعطف؛ مَرّة على شكل رصاصة يقتنصك بها مسلح على قدرٍ وافر من الدربة والمران؛ وَمرّة تَراه بعينك فاغراً فاهُ على امتداد شفرة فأسٍ مثلومة.

كوابيس يقظة تناوبتني وأنا أغذّ السير نحو البيت المحدّد.

لم تدُر الأحاديث المعتادة بين القرويين وهم يتقاطرون سراعاً؛ لم يطرحوا السلام على بعضهم وهم يعيشون أشنع لحظات الحرب، ولم يتداولوا في أمر الزيتون والزيت والمعاصر وقد رأوا بأمهات عيونهم ابن عمٍ لهم يُعصَر حتى نقطة الدم الأخيرة، ولم تسترق الدايّة النظر إلى بطون النسوة وقد شهقَت قبل لحظات شهقةً كادت تودي بها وهي ترى الجنين ينزف في بطن صديقتها فاطمة.

فيما مضى كنت أرى المعتقَلين عبر وسائل الإعلام، يشبكون أناملهم فوق رؤوسهم ويتقدّمون كالمنوّم مغناطيسياً أو كالمسحور، عيونهم شاخصة نحو نقطة جامعة كأن أجفانهم استعصت على الرّفيف؛ تتشابك أرجلهم، حتى إذا عثر أحدهم انكبّ السائرون خلفه على

وجوههم دفعة واحدة دون أن يجرؤ أحدهم على فك أصابعه ليدرأ عن أنفه الارتطام بالأرض؛ ولم أكن أتوقّع أن تُمتحن (حانين) بهذه البلوى وأن تخوض تجربة الاعتقال على هذه الشاكلة.

تحاشر الرجال أمام البيت، والخوف يرجّ الأطراف؛ وجوهٌ كالسفرجل وشفاهٌ تحاول النطق بالشهادتين وأجساد منضبطة مخافة افتعال حركة تستمطر الرصاص وتستجلب مجزرة.

كان الحراس يعتلون أسطح المنازل القريبة، وقائد الهجوم يتبختر في زيّه العسكري الفاخر شاهراً مسدسه مُهدّداً متوعّداً، ناعتاً أهل القرية بقصر النظر والخروج على سبيل الحق والرشاد ومسايرة الظروف، ملقياً اللوم عليهم فيما حلّ بهم.

لم ينبس أحد ببنت شفة، فانخفضت وتيرة صوته حين تسائل:

«لعلّكم غاضبون لمقتل بعض الأقارب هذه الليلة؟ لم نكن ننوي إيذاء أحد وقد زانكم العقل فلم تقاوموا تقدّمنا، ولكن القتلى حاولوا مقاومة الجنود لحظة اقتحام البيوت، فهل تتوقعون من جنودي عدم الدفاع عن أنفسهم؟! لعلكم تسمعون أزيز الرصاص يأتي من بعيد!

تناهى إلى سمعي من مصدر مطّلع أن جماعتكم ينوون مهاجمتنا في (حانين) لن نستقبلهم بالورود طبعاً! ستحدث مجزرة ولا أضمن السلامة لمن يبقى. أنصحكم بالخروج إلى (عيتا الشعب) ريثما تنجلي الأمور. لا أقول غداً، أو بعد ساعة؛ اللحظة تخرجون بأهليكم وبما على أجسادكم من ثياب».

لم يصدّق الرجال آذانهم وعيونهم. وما دار في خلدهم أن يمتدّ بهم العمر حتى يسمعوا ما سمعوا أو أن يروا القائد العسكري يأمرهم بالتفرّق وينصحهم بالرحيل.

كان إيابهم أسرع من ذهابهم، وكانوا يُستقبلون في بيوتهم استقبال الناجين من حدّ المقصلة؛ عناق ودموع، شوق ولهفة، أنين وحنين.

أحسستُني أُولد من جديد وأنا أعانق زوجي وأولادي وشعرت بأنني في سباق مع الموت وأنني لا بد أن أكسب الرهان وأحفظ الحياة لمن كنتُ السببَ في قدومهم إلى الحياة، فحملت الأطفال كيفما اتّفق وخرجت بعائلتي لا ألوي على شيء، لم أفكر في حمل ما خفّ وزنه وغلا ثمنه، كانت أرواح أولادي هي الأغلى وصرنا خارج حدود (حانين).

تنفس الأولاد الصعداء وعلّق كبيرهم: «لم أعد أرى المسلّحين يا أبي».

عندها فقط أيقنت أننا صرنا في مأمن من القتل.

أدرتُ وجهي صوب (حانين) ووقفت لحظة أرنو إليها، وانحدرت من مقلتي دموع حرّى.

صعبٌ أن يُقتلع الإنسان من جذوره وتاريخه؛ أن يجتثّ من مكانه وزمانه ويُلقي به في مكان وزمان مختلفين، بين أناس لا يربطهم به رابط من دمٍ أو قربى.

نعم!! (عيتا الشعب) أخت (حانين)، العادات واحدة والتقاليد هي هي، ولكن أهلها يقطنون دُورهم، ونحن سنكون دخلاء عليهم؛ هم لن يقصروا في وفادتنا على الإطلاق سيفسحون لنا من دورهم الصدور، لكننا مع كل تلك الحفاوة سنظلّ لاجئين.

يا إلهي! ما أبغض هذه الكلمة!

الآن أصبحنا لاجئين.. منذ هذه اللحظة تحديداً!

هذا هو اللجوء إذاً!!

المشهد يتكرّر والتاريخ يعيد نفسه.

قبل ثمانية وعشرين عاماً شاهدت الأشقاء يعبرون الحدود من الجنوب إلى الشمال. كانوا يحملون أطفالهم على ظهورهم وعلى كواهلهم وهم يرتقون الجبل صعوداً إلى

(رميش).. أذكر تماماً أنّنا استقبلناهم في (حانين) وأذكر تماماً الدموع التي ذرَفَتها أمي وهي تنصت خاشعة إلى مآسيهم.

لم أصدّق أنهم هربوا من المجازر.

لم أعذرهم، ولم يعذرهم سواي؛ قلنا لهم: «كان عليكم أن تنزرعوا في أرضكم شهداء»

لم ندرك آنئذٍ مغزى الجواب الذي ردّ به أحدهم علينا: «الجمرة لا تحرق إلا من يدوس عليها».

اليوم أدركتُ أنّ من يأكل العصيّ ليس كمن يعدّها.

وأنّ التنظير من برج عاجي فقاعات كلام تتلاعب بها الريّاح.

سهلٌ جداً أن يلومنا اللائمون وأن يسفّه رأينا المسفّهون الآمنون المطمئنّون الشاخرون قرب المدافئ؛ وأن يتمنطق المثقفون قائلين: حانين لم تصمد، ولم تجهّز نفسها لمثل هذا اليوم المصيري. (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء).

قيل ايام قليلة كنّا نسهر في بيوت جيراننا، وكانوا يقصدون بيوتنا زائرين.

قالوا لنا: «لن نسمح للفتنة بأن تُنشب أظافرها في قلوبنا».

فماذا نخشى ولمن نستعدّ؟

الآن أفهم سبب خروج الفلسطينين من ديارهم... الآن فهمت.....

ها نحن الساعة نتحول إلى لاجئين (يا عيب الشوم).. لاجئين في ديارنا!

لا فرق.. لا فرق على الإطلاق.

المجزرة واحدة والجزّار واحد رغم اختلاف الذبيحة.

والسفاح يقتل أخاه إن كان في قتله كسبٌ له.

هو لم يتورّع عن إبادة إخوته وحرقهم في الأفران إرغاماً لهم على الهجرة إلى فلسطين، فهل سيرفّ له جفن وهو يرى أزلامه يستفردون بحانين؟

لم يكن العملاءُ أداةً مفضوحة في يد النازي الجديد وحسب، بل الجدار الذي يقاتل من ورائه أيضا، ولست أدري كم سيصمد الجدار في عصرٍ تخطّى العلم فيه كل الجُدر.

بقي أمامنا منعطف واحد وتصبح (حانين) خارج حدود الرؤية.

الناس خفّت حركاتهم مثلي، أثّاقلت خطواتهم إلى الأرض؛ رؤوسهم تستدير بحركة عفوية نحو (حانين).

هل يدور في أذهانهم غير ما يدور في ذهني؟ وهل تتفجّر مآقيهم دمعاً وأنيناً؟

لست أدري! الثابت الوحيد أنّهم يلقون على الضيعة نظرة أخيرة.

هذه الوقفة أعادت التركيز إلى الأذهان وقد نزع الموت أنيابه منها، فشرع الناس يتفقّدون بعضهم بعضا. لم تنسَ أُمّ ولدها وتحمل مخدّة عوضا عنه كما حصل في (حيفا) ذات مجزرة. ولم تترك أختٌ أخاها نائما وتخرج حافية القدمين، ولم يضحك الناس لرؤية بعضهم يلبس فردتي حذاء مختلفتين، كل ما أثار انتباههم هو تخلّف بعض العائلات في القرية.

البعض غمز من قناتهم وآخر التمس لهم الأعذار.

لا هذه ولا تلك ! سمعت جاري يقول:-"اللجوء موت بطيء".

لم تطل لحظة وداع (حانين) وقد عزم اللاّجئون على العودة؛ قالوا: إن هي إلا أيام معدودات ويتدخّل أولو الحلّ والربط لردم الهوّة بيننا وبين جيراننا، فننعم بهواء (حانين) ودفئها.

سِرت بعائلتي فيمن سار إلى (عيتا الشعب) ولم ينتظر أهلها وصولنا إليهم، هبّوا عن بكرة أبيهم يهرولون إلينا؛ هذه تحمل طفلا وتلك تسند عجوزا وهؤلاء يحملون العجزة والمقعدين؛ وعبارات الترحيب تسبق البسمات

والأيادي لاحتضان الضيوف. لم أتذكر لحظتها إلا مشهد استقبال الأنصار للمهاجرين.

لم استطع تمييز النسيب من القريب ولا الصهر من الغريب، هكذا بطرفة عين صارت (عيتا الشعب) ضيعتنا.

كان ذلك وقد أسدل الليل أستاره علينا وعمرت البيوت بالقِرى والحكايات وغزل الأحلام والأمنيات.

هي المرّة الأولى التي أشعر فيها بالغربة؛ لم يقصّر مضيفي في واجبه وما أشعرني إلا بأنني ربّ المنزل ولكنني كنت واجما أعقد مقارنة سريعة بين غربتي القسرية هذه وبين اغترابي للعمل في دولة خليجية قبل أعوام. البون واسع والفرق شاسع، الاغتراب الحرّ هجرة طوعية في أرض الله الواسعة، أما اللجوء فسجن إجباري ضيّق يحرسه الذلّ والمِنّة والاحتقار، مهما كانت مثالية المضيف. الضيافة كالعزاء لا طعم لها بعد ثلاث.

قلت لأهلي: امكثوا، أما أنا فعائدٌ الليلة إلى (حانين).

هي بيتي الذي جبلتُ طينَه بِعرق الجبين وكرمي الذي أورقتْ أيامي بين عناقيده. سأموت الليلة كمَدا إن لم أنعم بدفء فراشي.

قفزوا جميعا يسدّون عليّ المخارج وقد أيقنوا أنني لا أُلقي الكلام جُزافا.

رأيت محبّتي تتلألأ في عيونهم عبرات حرّى، فعانقتُهم فردا فردا وأفردت لصغاري البوح بأعذاري قلت لهم:

لن أطيل الغياب، سأُحضر سندات الملكية وأوراقي الثبوتية، وقروشا بيضاء خبّأتها لهذا اليوم الأسود.

رحت أخبط في الهضاب على غير هدى وقد لبس القمر ثوب الحداد، يهديني نور (حانين) المنبثق من بين الضلوع..

حين أشرفت على (حانين) لم أميّز منها غير أشباح بيوت موحشة تتنابح الكلاب في أزقّتها وقد فقدت المؤنس المغيث، وتموء القطط في جنباتها بذلّ وانكسار مواء خافتاً موصولاً أشبه بالأنين.

أرهفت السمع فلم أميز غير التنابح والمواء.

اقتربتُ من البيوت مُبالغا في تجعيد قامتي خشية انكشاف أمري؛ لكنني لم أجد للمحتلّين أثراً.

اخترت أقصر الطرق إلى داري مُقلّدا اللصوص، أَحجِل على رؤوس أصابعي ملصقاً رموشي بحاجبيّ طمعاً في سبر الطريق.

لم أجد ما يدل على الحياة غير التنابح والمواء وغير خيوط أضواء شحيحة تنسلّ من بيوتٍ آثر أصحابها البقاء على الرحيل ؛ لم تتجاوز في عددها أصابع الكفّ.

كان بيتي هو المبتغى، فيمّمت شطره، تحدوني رغبة عارمة في احتضانه.

كان الظلام قد أطبق عليه مخفيا معالم تُميّزه عما حوله من البيوت.

وقفتُ أمامه مستجليا حاله في نظرة مسحت مفاصله. وذُهلت!

كان الباب مشرعا على مصراعيه والنوافذ مقفلة كما تركناها قبل سويعات.

لم يكن الأمر بحاجة إلى الفطنة والذكاء؛ لو كان البيت مسكونا لأقفل ساكنوه الباب وفتحوا النوافذ؛ البيت قد نهب... هذا هو التحليل الوحيد!

لم أجد في البيت غير الفِراش والخِرق وهذه الأريكة. ورغم هذا قلت: سأبقى هاهنا!

لم يغمض لي جفن رغم الإعياء الشديد، لا خوفًا من العملاء وقد زرعتُ نفسي بين أنيابهم، بل حزنا على ما حلّ (بحانين).

بزغ الفجر متثاقلا، ففتحتُ النافذة أتنسّم زفرات (حانين) وأعب تفاصيلها بيتا بيتا وحاكورة حاكورة.

لم أطرب لزقزقة العصافير وقد هجّرها أزيز الرصاص.

ولم أسمع رنين عكازات الشيوخ يتساندون إلى المسجد.

ولم يطرق العجّال أبواب الزرائب كي تلحق به الدواب إلى المراعي؛ ولم يتساءل الفلاحون وهم يلقون على بعضهم تحيّات الصباح ؛مُتَعٌ لذيذة، انتابني لفقدها غمٌّ شديد.

لم ينتظر الصامدون شروق الشمس؛ هرعوا إليّ ينعون (حانين) ويسردون حكاية قرية حُطّمت أبواب دُورها جهاراً نهاراً ونُهبت نفائسها أمام عيونهم دون وجل أو خجل.

وهاءنذا أقبع وحيدا في داري أحمي جدرانها بجسدي الأعزل، يونسني النهار بِلُقْيا مَنْ صمد ويُتعسني الليل مُلْقيا بي في خضم اللوعة والوحشة والفراق، ولكنّني سأبقى.

نعم.. سأبقى!

سأشكّل والصامدين القلّة نواة العودة، جسرا يعبر عليه أهل (حانين) لبعث الحياة في عروقها من جديد.

سيتجاسر الناس وسيحزمون حقائبهم للعودة الواحد تلو الآخر.

هم لم يؤذوا أحدا فممّ يخافون؟

في بعض الأحايين أسأل نفسي هذا السؤال: هل أخطأ أهل حانين في قرارٍ اتّخذوه أو في إجراء أقدموا عليه؟ فأجدهم من الزلل في مأمن، وعن الخطل في منأى.

فهل كان من الحكمة رفض الخروج من القرية وتعريض النساء والأطفال للذبح والتمثيل بجثثهم؟

لم نَمُتْ ولكننا شاهدنا من مات!

ولم نُقصف عشوائيا ولكننا شاهدنا المناطق التي قُصفت عشوائيا وما حلّ بها من دمار وإبادة.

ولم نُذبح على الهويّة ولكننا سمعنا الأهوال عمّن ذُبحوا لمجرّد قراءة أسمائهم على الهويّات!

لا ... لم يخطئ أهل حانين حين قالوا: الفرار ولا سكين الجزّار.

ولم يخطئوا حين رفضوا العرض المقدَّم إليهم من جنود الاحتلال بالعودة إلى حانين؛ قالوا يومها: إن الذئب إذا ادّعى حماية الحَمَل فإنما يعدّه لوليمة مؤجّلة. وأن العدو لو كان صادقا في هذا الطرح لما أوعز إلى عملائه بأن يهجّروا حانين. وأن من رفض العودة تحت بيارق العملاء لن يقبل بها تحت بنادق الأعداء.

وقالوا أيضا مَنْ يُطرد بالقوّة فبالقوّة يعود.

منذ أسبوع وأنا أسرح وأمرح في حانين على مرأى من العملاء، ولم يتعرّضوا إليّ بسوء.

بريء أنا، وأهل (حانين) أبرياء، سأنصحهم بالعودة على دفعات.

سؤال واحد ما فتئ يؤرّقني: لماذا فضّل العملاء التهجير على الإبادة ؟

من يدري؟! ربما حسبوا حسابا لردة فعل القرى المجاورة. أو خشي أسيادهم ردة فعل الرأي العام العالمي!

وأين هو الرأي العام؟ أذنٌ من طين وأخرى من عجين.

لا يتحركون إلا لتقديم البطانيات والطحين للمنكوبين.

وحتّى هذه لم تحظ بها (حانين).

قلتُ: غدا يتدافع الصحفيون لتسجيل مأساة (حانين)؛ مرّ الغد وبعد الغد والأيام تكرّ ولم يُحدّث صحافيّ واحد نفسه بالسعي إلى حانين. تسارُع الأحداث حولهم يُغنيهم عن تكبّد عناء السفر، ولِمَ يسافرون والمجزرة حولهم تسبق مجزرة وأنباء القتل والتهجير والتدمير تتكدس على طاولات رؤساء التحرير.

(وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيراً) ربما لو زار الصحفيون (حانين).

لنقلوا الخبر كما يحلو لهم ولشوّهوا الحقائق تبعا لمصالحهم، سيكتبون الخبر وهم يتثاءبون !

لو جاء الصحفيون لما نالوا من رحلتهم غير التعب، فالمظلومون قد هجّروا والظالم لن يسمح بتصوير الأنقاض. فلندع التشاؤم ولنفترض مجيء صحافيّ ما.

لِنَقُل إنه سيُجري مقابلة صحفية، فمع من سيجريها؟

أم تراه سيطرح الأسئلة على دواب الأرض، التي اتّخذت الركام مأوى لها؟

ولنفترض أنه سيعدّ تحقيقا صحفيا، فمن سيمدّه بالوثائق والبيانات والإحصاءات. ومن سيعرض له المشكلة أسبابا ونتائج وحلولا ؟

لم يكن من داعٍ لتهافت الصحفيين. حانين تكتب نفسها، وتنشر الخبر.

(حانين) لم تكن الأولى في قائمة القرى المهجّرة وليتها تكون الأخيرة. صار التهجير أمراً عادياً، تألفه الأسماع كما تألف أخبار الرئيس المفدّى ونشاطاته.

لو جاء الصحفيون لتمنطقوا وتحذلقوا وهم يمتطون صهوة اللغة للربط بين استشهاد (حانين) وبين اسمها السرياني الذي يحمل الدلالة عينها. سيعزون ذلك إلى موافقات القدر.

ليست (حانين) بحاجة إليهم، أنا الآن ألعب هذا الدور، أخاطب الحيطان الصمّاء وحبّات سبّحتي العمياء وأروى لها ما حل (بحانين) من بلاء، لن تذهب تداعياتي أدراج الرياح، ستظلّ روحا هائمة تطوف (بحانين) حتى تتجسّد ذات يوم في كلمات يقرأها السلف للخلف، والجدات

للأحفاد قبل النوم وبعده، علّ العيون تنفتح لاستخلاص العبر كما انفتحت عيناي هذه الليلة، فلم أذق للنوم طعماً، وها هي الشمس تتثاءب فوق التلال. تعلن ولادة يوم جديد.

كيف تراه يكون؟ أهو نسخة طبق الأصل عمّا سبقه وعمّا سيليه؟

أم يحمل في طياته جديداً (لحانين)؟

هل سيغضّ العملاء الطرف عنّي وعن النفر القلائل الصامدين؟

لو راقهم صمودنا لما هجروا أهلينا.

مهما يكن من أمرٍ.. سأبقى.... يعني سأبقى.

الأصدقاء خارج (حانين) يشجّعوننا على الصمود وهكذا سأفعل !

لن آبه لتحرّشات العملاء اليوميّة بنا ولا لتحرّكاتهم بين الدُّور.

أسمع اللحظة صراخهم يتجاوب في أرجاء (حانين).

ليست الجولة اعتيادية.

أأنا المقصود اليوم؟ ولم أنا بالذات ؟

الصراخ يقترب ويقترب...

ووقع الأقام يتعالى أمام داري.

اللّغط يدور بين القادمين، لكنني أُميّز منه: (هيدا بيت أبوعلي)

أسمع اللحظة قعقعة السلاح وصوت انزلاق الأقسام التي تلقّمه

أشهد أن لا إله إلا الله.....

الباب يُلبط بعنف وينخلع مرتطما بالأرض.

المسلحون يوجّهون فوهات بنادقهم نحوي..

أشهد أن.....).

وتراقص جسد (أبي علي) بفعل زخّات الرصاص، ثمّ تكوّم مضرَّجا بدمائه فوق بقعة قانية.

لم يجدوا ما يحملونه من متاع وقد سبق لهم حمل ما خفّ وما ثقل!

اشرأبّت ألْسنة اللهب وغطّت غمامة من دخان سماء حانين ممزوجة برائحة شواء غريبة، لم يعهدها الناس من قبل.

رائحةٌ أثارت بغرابتها القلّة الصامدة في الضيعة، فهبّوا يستطلعون الخبر.

فرّ الجُناة... لكن رسالتهم ظلت ماثلة أمام أعين الصامدين، رسالة تتطاير حروفها شرراً ورائحة شواء. لم يكونوا بحاجة إلى الاستنتاج والتحليل، تسابقوا إلى

بيوتهم لحمل العجائز والأطفال وفرّوا بأرواحهم إلى (عيتا الشعب)، شهود إثبات على وحشية الجزّار.

وأمست (حانين) خاوية على عروشها، دوراً مخلّعة الأبواب، تصفر فيها الريح والأشباح.

فطِن الجُناة أن الحيطان الواقفة تغري أصحابها بالعودة، فتقدّمت الجرافات تنهش بأنيابها السقوف والأعمدة، فما بقي من (حانين) غير الرّكام.

أنقاضٌ بشعة تُغري وسائل الإعلام بِعَلْك الأخبار والتقاط الصور.

الجناة لا يأمنون جانب وسائل الإعلام.

ساروا بجرّافاتهم نحو الأنقاض؛ آلية تُفتّت الإسمنت وأخرى تستخلص قضبان الحديد، وثالثة تشحن الركام المتبقّي إلى أشداق الكسارات القريبة.

وصارت (حانين) أثرا بعد عين. ومُحيت حروفها عن خارطة الوطن مرّة ثالثة. ولم يبق منها غير أساسات اسمنتية مقضومة هنا وهناك.... وشواهد قبور تهاوت فوق الأجداث تقرأ على صفحتها تاريخ قرية كانت هنا.

عظام أجداد مبعثرة تحت الثرى، وأحلام أحفاد منثورة فوق خارطة الوطن تنتظر يوما يُقتلع فيه الجُناة وأسيادهم من ثرى الجنوب، حُفاةً عُراةً، يَجرّون أذيال

الهـزيمة مـتـسـابقين نحـو جنوب الجنوب تاركين قطعـان ماشيتهم تسرح في (حانين).

ويشاء الله تحقيق الحلم.

وتمضي قوافل الأحفاد نحو الضيعة، حناجر تشق أجواز الفضاء تنشد أنشودة النصر المؤزّر وسواعد سمراء تمتشق المعاول وعُدَد البناء.

وحين لا يجرؤ بعض جيران (حانين) على المجيء لجمع قطعان ماشيتهم من أرض (حانين)، يرسل أهلها من يقول لهم في اطمئنان الواثق: «عليكم الأمان، تعالوا اجمعوا قطعانكم، نخشى أن يُفقد شيءٌ منها فيلوّث انتصارنا النظيف».

٢٠٠٤/١/٩